ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٣٧٤) / عبد الحليم الغزّي
على مائدة القمر ، شهر رمضان ١٤٤٣هـ (ج٢٤)
سلة الفواكه المنوعة (ق٨)
-حكاية حليمة السعدية (ج٨)
-برنامج الرعاية الخاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله
الثلاثاء : ٢٤/شهر رمضان/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٦/٤/٢٠٢٢م

هذا هو الجزءَ الثامن من الطبق السابع من أطباقِ مائدة القمر "سلّةُ الفواكهِ المنوّعة"، مضمونُ هذهِ السَّلّة إجابةٌ على سُؤالين، لا زالَ الكلامُ في السؤالِ الأوّل والّذي كانَ بخصوص حكايةِ حليمة السعديَّة.
وصلتُ معكم في الحلقةِ الماضية للحديثِ عن برنامجِ الرعايةِ الخاصَّةِ لرسول الله قبلَ ولادتهِ وبعدَ ولادتهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله، وعدتكم أن أضعَ بينَ أيديكم جانباً من المعطياتِ الَّتي تُوضِّحُ هذا المضمون.
في سورة الشعراء.

الآية الرابعة بعدَ العاشرة بعدَ المئتين بعدَ البسملة: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾، سياقٌ واضحٌ وواضحٌ جِدَّاً في برنامج رعاية خاصَّة لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله على طول الخط في كُلِّ حياته قبلَ الولادة وبعدَ الولادة.
ما أريدُ أن أقفَ عندهُ مَا جاءَ في الآيةِ التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ المئتين بعدَ البسملة: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾، الآيةُ لها آفاقٌ، أعلى أفاقها ما جاءَ في أحاديثهم من أنَّ الساجدينَ هُنا؛ "عليّ وفَاطمة والحَسَنُ والحُسَين"، الخطابُ لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، لكنّني لا أريدُ أن أتناولَ جميعَ الأفاق وإنَّما سآخذُ منها ما يرتبطُ ببرنامجِ الرعايةِ الخاصَّة لرسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وآله قبلَ ولادته وبعدَ ولادته بشكلٍ مباشر.
"**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**"؛ هذا هو انتقالُ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وآله من الأصلابِ إلى الأرحام، من الأصلابِ الشَّامخة إلى الأرحام المطهَّرة.
في الجزء الأوَّل من (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) / للمُحدِّث شرف الدين الاسترابادي النَّجفي/ طبعةٌ مؤسَّسة الإمام المهدي/ قم المقدَّسة/ صفحة ٣٩٧/ الجزء الأوّل، الحديثُ السَّابعُ والعشرون: (**بسنده، عَنْ جَابِرٍ الْجُعَفِي، عَنْ إِمَامَنَا مُوسَى بنِ جعفَر صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَليهِمَا**)، الحديثُ طويلٌ أقرأُ من السطور الأخيرة من هذا الحديث الشريف، إمامُنا الكاظمُ يتحدَّثُ عن مُحمد وعلي وفَاطمَة صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، إنَّهم الأئمَّةُ المعصومونَ في سلسلة أئمَّة أصحاب الكساء اليماني، أو في سلسلة الأئمَّة الأربعة عشر، الإمامُ يقول: **هُمْ خُلِقُوا مِنَ الأَنْوَار** - مُحَمَّدٌ عَليّ فَاطمَة حَسَنٌ حُسين، هذا الضمير يعودُ على هذهِ الأسماء الشريفة بحسبِ ما تقدَّم من سياقِ لكلامِ إمامنا مُوسى بن جعفر - **هُمْ خُلِقُوا مِنَ الأَنْوَار وَانْتَقلوا من ظَهْرٍ إِلَى ظَهْر وَصُلْبٍ إِلَى صُلْب وَمن رَحِمٍ إِلَى رَحِم فِي الطَّبَقَة العُلْيَا من غَيرِ نَجَاسَة** - هذا هو برنامجُ الرعايةِ الخاصَّة بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عُموماً، لكنَّ الحديثَ في هذهِ الحلقةِ عن الرعايةِ الخاصَّةِ لرسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله ما قبلَ الولادة وما بعدَ الولادة بشكلٍ مباشر.
- **بَلْ نَقْلاً بَعْدَ نَقل لَا من مَاء مَهِين وَلَا نُطْفَة خَشرَة** - وفي بعض النُسخ (جَشرَة) والنُّطفةُ الخَشرة هي النُّطفةُ الوَسخة - **وَلَا نُطْفَة خَشرَة كَسَائِرِ خَلْقه، بَل أَنْوَارٌ انْتَقَلُوا من أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَات** - نحنُ نتحدَّثُ عن الصدِّيقة المطهرة آمنة؛ إنَّها آمنةُ بنتُ وَهْب والدةُ النَّبي أُمِّه الرحميّة، نتحدَّثُ عن فَاطمةَ بنت أسد والدةُ الأمير الرحميةِ ووالدةُ رسول الله والدةُ التنشئة والرعاية والحراسة.
- **إِلَى أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَات لأَنَّهم صَفْوَةُ الصَّفْوَة اصْطَفَاهُم** - سُبحانَهُ وتعالى - **لنَفْسه وَجَعَلَهُم خُزَّانَ علْمه وَبُلَغَاءَ عَنْهُ إِلَى خَلْقه** - هُم الَّذينَ يُبلِّغونَ عنه، هُم لسانهُ - **أَقَامَهُم مَقَامَ نَفْسه** - لأنَّنا لا نستطيعُ أن نتعاملَ مع الله بشكلٍ مباشر تعاملُنا مع مُحمد وآل مُحمَّد - **لأَنَّهُ لا يُرى ولا يُدْرَك ولا تُعرَفُ كَيفيَّتهُ ولا انِّيَّتُهُ** - لا يُعرفُ عنهُ شيء - **فَهَؤُلاء** - الحديثُ عن مُحمَّد وآل مُحمَّد - **فَهَؤلاء النَّاطقُونَ المُبَلِّغُونَ عَنه المتَصَرِّفونَ فِي أَمْرِه وَنَهيه فَبِهِم يُظْهِرُ قُدْرَته ومنهُم تُرَى آيَاتهُ ومُعجزَاتُه وبِهِم ومنهُم عَرَّفَ عبادَهُ نَفسه، وبِهِم يُطاعُ أَمْرُه، وَلَوْلَاهُم مَا عُرِفَ الله وَلَا يُدْرَى كَيفَ يُعْبَدُ الرَّحمَن، فَاللهُ يُجرِي أَمْرَهُ كَيفَ يِشَاء فِيمَا يَشاء لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل وهُم يُسأَلُون** - الكلماتُ واضحةٌ وبيِّنةٌ تتحدَّثُ عن برنامجِ رعايةٍ خاصَّةٍ لِمُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ عُموماً ولرسول الله خُصوصاً، لأنَّهُ هو سيِّدهم.
في الكافي الشريف:
الجزء الأوَّل/ طبعةُ دار الأسوة/ طهران/ إيران/ صفحة ٥٠٨/ من الباب الَّذي عنوانهُ "بابُ مولد النَّبي ووفاته صلَّى الله عليه وآله" / الحديثُ الثاني والعشرون: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن زُرَارةَ بن أعين، عَن إِمَامنا الصَّادق صلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيه: يُحْشَرُ عَبْدُ المطَّلبِ يومَ القيَامَة أُمَّةً وَاحدَة** - هذا عبدُ المطّلب، أجدادُ النَّبي كُلَّما اقتربوا إلى زمان ولادته كلَّما علا شأنُهم، فعَبدُ المطّلبِ أعلى شأناً من الَّذينَ سبقوه وهكذا، وعبدُ الله والدُ النَّبيَ أعلى شأناً من عبد المطّلب، وكذاكَ أبو طالب والدُ الأمير أعلى شأناً من عبد المطّلب، كُلَّما اقتربت الأصلابِ من مَولد مُحمَّد ومن مَولد عليّ، وكُلَّما اقتربتَ الأرحام من مولد مُحمَّد ومن مولد عليّ، تسامت وتعالَت سامقةً تلكَ الأصلابُ الشامخة وتنوّرت تلكَ الأرحامُ المطهَّرة.
- **عَلَيه سِيْمَاءُ الأَنْبِيَاء** - لأنَّهُ نَبيٌّ، عبدُ المطّلب من أوصياء إبراهيم، وأوصياءُ إبراهيمَ أنبياء - **عَلَيه سِيْمَاءُ الأَنْبِيَاء وَهَيبَةَ الْمُلُوك**.
في البابِ نفسه الحديثُ السادس والعشرون، صفحة (٥٠٩)، عَن إمامنا الصَّادقِ أيضاً: **بسند الكليني، عَن رِفَاعة، عَن صَادق العترة: كَانَ عَبدُ المطَّلبِ يُفْرَشُ لَهُ بِفنَاء الكَعبَة لَا يُفْرَشُ لِأَحَد غَيرِه** - فَهُو سيِّدُ الكعبة وهو وارثها، هذهِ كعبةُ جدِّه إبراهيم، وهو عظيمُ عُظماء مكّة هذا عبدُ المطلب - **وَكَانَ لَهُ وُلْدٌ** - أولادهُ كثيرون - **يَقُومُونَ عَلَى رَأسه فَيمنَعُونَ مَن دَنَا منْه، فَجَاءَ رَسُولُ الله** - حينما كانَ صغيراً - **وَهُوَ طِفْلٌ يَدْرِج حَتَّى جَلَسَ عَلَى فَخِذَيه، فَأَهْوَى بَعضُهُم إِلَيه لِيُنَحيَّهُ عَنْه** - أرادَ أن يرفعَ رسول الله من حجرِ عبد المطّلب - **فَقَالَ لَهُ عَبدُ المطَّلب: دَع ابْني** - لماذا؟ - **فَإِنَّ الْمَلَك قَدْ أَتَاه** - ها هو مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ هو مُحَمَّدٌ أكانَ عمرهُ يوماً واحداً أم كانَ في آخرِ لَحظةٍ فَارقَ فيها الدُّنيا، هذا هو المحمودُ الأحمد، هذا هو الحبيبُ الأعظمُ، وهذا حِجرُ عبد المطّلب.

في البابِ نفسه في "بابِ مولد النَّبي ووفاته صلَّى اللهُ عليه وآله"، في الحديث التاسع: **عَن إمَامنَا الصَّادق صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه: إنَّ اللهَ كَانَ إذْ لَا كَان** - كانَ ولم يَكُن م عهُ شَيء، تتذكَّرونَ أركانَ عقيدة التوحيد، الركنُ الأوَّل من أركانِ عقيدة التوحيد: "كَانَ اللهُ ولَم يَكُن مَعَهُ شَيء" - **فَخَلَقَ الكَانَ وَالْمَكَان، وَخَلَقَ نُوْرَ الأَنْوَار الَّذي نُوِّرَت منْهُ الأَنْوَار وَأَجْرَى فيه منْ نُوْره الَّذي نُوِّرَت منْهُ الأَنْوَار، وَهُوَ النُّوْرُ الَّذي خَلَقَ منْهُ مُحَمَّداً وَعَلياً فَلَمْ يَزَالَا نُوْرَينِ أَوَّلِين إذْ لَا شَيء كُوِّنَ قَبْلَهُمَا** - إشارةٌ إلى الحقيقةِ المُحمَّديَّة التي كوَّنها اللهُ فكانتْ ولم يكُن معها شيء، الركن الثاني من أركانِ عقيدة التوحيد - **فَلَم يَزَالَا يَجْرِيَانِ طَاهِرينِ مُطَهَّرِين** - الحديثُ عن مُحمَّد وعليّ صلَّى اللهُ عليهما وآلهما - **فِي الأَصْلَاب الطَّاهرَة حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهرَين؛ فِي عَبْد الله وَأَبِي طَالب** - فهُما أطهر كُلِّ الأطهار، وأطهر من أبيهما عبد المطّلب، حليمةُ السعديَّةُ تأتي في سياقِ شيعة هؤلاء، إنَّها من شيعة آمنة، ومن شيعةِ فاطمة، إنَّها من شيعة عبد المطّلب، من شيعة عبد الله والد رسول الله، من شيعة أبي طالبٍ والد أمير المؤمنين، إنَّهُ كافلُ مُحمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، الروايةُ الَّتي بنيتُ عليها حديثي تأتي في هذا السياق.

في سورة الضحى: ﴿**وَالضُّحَى** - الآية الأولى بعدَ البسملة - **وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾.

الآيةُ الرابعةُ بعدَ البسملة من سورة الضحى: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾، إنَّها الآيةُ الَّتي بعدها، "**وَلَلْآخِرَةُ**"؛ إنَّها الرّجعةُ، الرّجعةُ العظيمة، هذه البعثةُ الحقيقيّةُ لـمُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، هُم يقولون رواياتهم أحاديثهم تفسيرهم تأويلهم، هكذا بايعنا في الغَديرِ على أن نأخُذ التفسيرَ منهم صلواتُ الله عليهم لا من سقيفةِ بَني ساعدة ولا من سقيفةِ بني طوسي، "**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ**"، خيرٌ لك من الأولى من مرحلةِ التَّنزيل، ومن مرحلة الغَيبتين في زمان التأويل.

- **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ**﴾، الآيةُ واضحة ما قالت (ألم يجدك يتيماً فآواكَ عندَ جدّك عبد المطّلب)، أو (فآواكَ عندَ عَمِّك أبي طالب)، أو (فآواكَ عندَ أُمِّك فَاطِمَة بنت أسد)، هو الَّذي كانَ يُسمِّيها أُمِّي، مُحَمَّدٌ هو الَّذي كانَ يُسمِّي فَاطِمَةَ بنتَ أسد يُسمِّيها بأُمِّه.

هذا الإيواءُ كانَ عندَ الله فهؤلاء هُم أبوابُ الله، عبدُ المطّلب بابٌ من أبواب الله، فَاطِمَةُ بنتُ أسد بابٌ من أبواب الله، الآيةُ لها دلالاتٌ كثيرة.

وإلَّا هُناكَ دلالةٌ أخرى: ("**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً**"؛ **وجوداً مُنفرداً**)، فَمُحَمَّدٌ وجودٌ مُنفرد، ولذا توفِّيت أبوه، توفِّيت أُمُّه، حتَّى لا يكونَ لأبيه من فضلٍ على مُحَمَّد وهو يتحرَّكُ على الأرض، ولا يكونُ لأُمِّه، هذا لا يعني أنَّ مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عليه وآله يُنكرُ فضلَ أبيه وفضلَ أُمِّه، ولكن ليس هُناكَ من كائنٍ فوقَ مُحَمَّد، ليس هُناكَ من كائنٍ يأمُرُ مُحَمَّد، فقدانهُ لأبويه لوالده ووالدته هو جزء من برنامج الرعايةِ المُحَمَّديَّة، أولادٌ لم تبقى إلَّا الزَّهْراء لأنَّ الزَّهْراء أُمُّهُ أمُّ أبيها، ولأنَّ الذُريَّةَ المُحَمَّديَّةَ من الزَّهْراء فليس لهُ لا من وَلَد ولا من بِنت، بنتهُ الوحيدة فَاطِمَة هي أمُّ الوجود أمُّ أبيها.

مُحَمَّدٌ كيانٌ لا يُماثلُهُ كيان، كيانٌ يتيم، الكيانُ المنفرد، الكيانُ المنقطع، ولذا يُقالُ للدُرَّة الَّتي لا تُماثلها دُرّة في لغة العرب الدُرَّةُ اليتيمة، لا تُوجدُ نُسخةٌ ثانيةٌ منها، هل هُناكَ من نُسخة لـمُحَمَّد بما هو مُحَمَّد؟ عليّ نسخةٌ لـمُحَمَّد، ولكنَّ عليّ هو مُحَمَّدٌ من جهة وهو عليّ من جهة أخرى، مثلما مُحَمَّدٌ هو عليّ من جهة وهو مُحَمَّدٌ من جهة أُخرى، مُحَمَّدٌ المُحَمَّدُ حقيقةٌ يتيمةٌ منقطعةٌ مُنفردةٌ لا مثيلَ لها ولا نُسخة أخرى منها، هذا مُحَمَّدٌ المحمودُ الأحمد.

"**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى**"؛ فآوى آوى إليكَ الأنبياء، آوى إليكَ الخلق، آوى إليكَ قومكَ الَّذينَ حاربوكَ وأرادوا قتلك.

"**وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى**"؛ ضَالّاً في نظرِ قَومك، كُنْتَ مُنفرداً مُنقطعاً عنهم لا يُماثلُك مُماثل، فهدى النَّاسَ إليك.

"**وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى**"؛ أغناكَ من جهةِ مال خديجة، خديجةُ الطاهرة المطهّرة هذه القدِّيسةُ الصدِّيقة، في كُتب النواصبِ يقولونَ من أنَّها كانت قد تزوّجت قبلَ رسول الله ، كَذبٌ هذا، خديجةُ الكبرى أُمُّ فَاطِمَة هذه القدِّيسةُ الطاهرةُ المطهَّرة تزوَّجها رسولُ الله وكانَ عُمرها بعمره، كانت في الخامسة والعشرين، إنَّها شريفةُ الأشراف، وسَيِّدةُ السيّدات في مكَّة، إنَّها الشريفةُ الغنيَّةُ، الكريمةُ، الجميلةُ، الجليلة، إنَّها أُمُّ فَاطِمَة، وزوجةُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وآله الطاهرةُ المطهَّرة، خديجةُ جُزءٌ مهمٌّ من برنامج الرعايةِ الخاصَّة لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله.

في (تفسير القُمي)، جامعٌ من جوامع الأحاديث التفسيريّة/ طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت/ لبنان/ صفحة (٧٥٨): **عَن إمَامنا الصَّادق صَلواتُ الله عَلَيه: "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ"؛ يَعني الكَرَّة** - هي الآخرة للنَّبي هُنا في هذه الآية - **قُلتُ** - الَّذي يقولُ (قلتُ) هو أبو بصير، لأنَّهُ هوَ الَّذي كَانَ يسألُ الإمامَ الصّادق - **قُلتُ، قَولُهُ: "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى"؟ قَالَ: يُعْطِيكَ مِنَ الجَنَّة فَتَرْضَى** - أمَّا "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ"، إنَّهَا الكَرَّة، إنَّها الرَّجْعَة، وتستمرُّ الروايات والأحاديثُ عنهم - "**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى**"؛ **فَآوَى إِلَيكَ النَّاس** - أرجعَ النَّاسَ إليك - "**وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى**"؛ **أي هَدَى إِلَيْكَ قَوْماً لَا يَعْرِفُونَك حَتَّى عَرَفُوك، "وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى"؛ أي وَجَدَكَ تَعُولُ أَقْوَاماً** - أنتَ الَّذي تَعولُهم ترعاهُم - **فَأَغْنَاهُم بِعلْمك.**

ويستمرُّ عليّ بن إبراهيم القُمّي يذكرُ مضامين أخرى من حديثهم صلواتُ الله عليهم: "**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى**"؛ **اليَتيمُ الَّذي لَا مثْلَ لَهُ** - ولذلك سُمِّيتُ الدُرَّةُ اليتيمة لأنَّهُ لا مثلَ لها - "**وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى**"؛ **فَأَغْنَاكَ بِالوَحي فَلَا تَسأَلْ عَنِ شَيءٍ أَحَدَا** - لستَ مُحتاجاً لأحد أنتَ الغَنيّ المُغنيَ يا رسول الله - "**وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى**"؛ **وَجَدَكَ فِي قَومٍ لَا يَعْرِفُونَ فَضْلَ نُبُوَّتكَ فَهَدَاهُم اللهُ بِك** - هذا ما جاء عنهم صلواتُ الله عليهم وذكرهُ لنا عليّ بنُ إبراهيم القُمّي رضوانُ الله تعالى عليه.

في (عيونُ أخبار الرضا) للصَّدوق/ طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت/ لبنان/ الجزء الأوَّل من البابِ الخامس عشر/ الحديث الأوَّل، حديثٌ طويل في شؤون الأنبياء وكيفَ ذكرهم القُرآن، إمامُنا الرضا صلواتُ الله وسلامهُ عليه بشأن آيات سورة الضحى: **وَقَد قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لنَبِيِّه مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله: "أَلَم يَجدكَ يَتيماً فَآوَى"، يَقُول: أَلَم يَجدكَ وَحيداً فَآوَى إِلَيكَ النَّاس، "وَوَجَدَكَ ضَالّاً"؛ يَعني عندَ قَومك، "فَهَدى"؛ أي هَدَاهُم إِلَى مَعرفَتكَ، "وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى"، يَقول: أَغْنَاكَ بِأن جَعَلَ دُعاءَكَ مُستَجَاباً** - الَّذي يستجابُ دُعاءهُ هل يكونُ فقيراً؟ بإمكانهِ أن يكونَ أغنى الأغنياء - "**وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى**"، **يَقول: أَغْنَاكَ بِأن جَعَلَ دُعاءَكَ مُستَجَاباً** - هذه جهاتٌ، أفاقٌ، السورةُ أعمقُ من ذلكَ بكثير، هذه وجوهٌ، مثلما قرأتُ عليكم عن إمامنا الصَّادق؛ "من أنَّ الكلمةَ من كلماتهم تَنصرفُ إلى سبعينَ وجه ولهم من جميعها المخرج"، هذه هي الوجوهُ الكثيرةُ الَّتي تَنصرفُ كلماتُهم إليها، القُرآنُ كلماتُهم، والرواياتُ كلماتُهم، ومنطقُ القُرآنِ هو منطقُ حديثهم، ومنطقُ حديثهم هو منطقُ قُرآنهم.

في (معاني الأخبار) الشيخ الصَّدوق/ طبعةُ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم المقدَّسة/ الشيخُ الصَّدوق يُحدِّثنا عن ابنِ عبَّاس، وابنُ عباس يقول: **سَأَلْتُهُ** - سألَ أميرَ المؤمنين - **عَن ابنِ عَباس** - في الصفحة السادسة والأربعين بعدَ المئة، الحديثُ الرابع: **بِسند الصَّدوق، عَن ابنِ عَباس قَالَ: سَأَلْتُهُ عَن قَول الله عَزَّ وَجَلَّ: "أَلَم يَجدكَ يَتيماً فَآوَى"؟ قَال: إِنَّمَا سُمِّي يَتيماً لأَنَّهُ لم يَكُن لَهُ نَظيرٌ عَلَى وَجه الأَرْض منَ الأَوَّلينَ وَلَا منَ الآخرين، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُمْتَنّاً عَلَيه بِنعْمَته: "أَلَم يَجدكَ يَتيماً"؛ أي وَحيداً لَا نَظيرَ لَك، "فَآوَى"؛ إِلَيكَ النَّاس، وَعَرَّفَهُم فَضْلَكَ حَتَّى عَرَفُوك، "وَوَجَدَكَ ضَالّاً"، يَقُولُ: مَنْسُوباً عِنْدَ قَومك إِلَى الضَّلَالَة فَهَدَاهُمَ لمَعْرفَتك، "وَوَجَدَكَ**

عَائِلاً"، يَقُولُ: فَقِيراً عِنْدَ قَوْمِكَ يَقُولُونَ لَا مَالَ لَك، فَأَغْنَاكَ اللهُ بِمَالِ خَدِيجَة، ثُمَّ زَادَكَ مِنْ فَضْلِه فَجَعَل دُعَاكَ مُسْتَجَاباً حَتَّى لَو دَعوتَ عَلَى حَجَرٍ أَنْ يَجعلَهُ الله لَكَ ذَهَباً لَنَقَلَ عَيْنَهُ إِلَى مُرَادِك، وَأَتَاكَ بِالطَّعَامِ حَيثُ لَا طَعَام، وَأَتَاكَ بِالْمَاءِ حَيثُ لَا مَاء - اللهُ سبحانه وتعالى، الإشارةُ إلى المعجزات الكثيرة بهذا الخصوص وهذا الشأن الَّتي ذُكرت في أحاديث سيرة نَبينا صلَّى اللهُ عليه وآله - **وَأَغَاثَكَ بِالْمَلَائِكَة حَيثُ لَا مُغِيث فَأَظْفَرَكَ بِهِم** - أظْفَرَكَ بالملائكة - **عَلَى أَعْدَائِك.**

وكُلُّ هذه المعاني تقريبيّةٌ في أُفقٍ من الأفاق، سورةُ الضحى هي أعمقُ بكثيرٍ من كُلِّ هذا الَّذي قرأتهُ عليكم من الروايات.

الجزء الأوَّل من تأويل الآيات الظاهرة/ طبعةُ مؤسّسة الإمام المهديّ/ قم المقدَّسة/ صفحة ٣٩٦/ الحديثُ السادس والعشرون: **بِسنده، عَن المفضَّلِ بنِ عُمَر، عن إِمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ الله عَليه، عَنِ آبَائه، عَن أَميرِ الْمُؤْمنين** - صلواتٌ تترى وسَلامٌ يتواصلُ على تُرابِ أقدامِ أمير المؤمنين، إمامُنا الصَّادقُ يُحدِّثُنا عن جدِّه أمير المؤمنين - **كَانَ ذَاتَ يَومٍ جَالِساً فِي الرَّحْبَة** - إنَّها الرحبةُ الَّتي كانت تُسمَّى برحبة علي، ساحةٌ واسعةٌ في وسط الكوفة، تمتدُّ ممَّا بعدَ المسجد، في أيَّام الأمير كانت تُسمَّى برحبة علي لأنَّهُ كانَ يتواجدُ فيها كثيراً كي يلتقي بالنَّاس - **والنَّاسُ حَولَهُ مُجتمعون، فقامَ إليه رَجُلٌ فقالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمنين، إِنَّكَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْزَلَكَ اللهُ بِه وَأَبُوكَ يُعَذَّبُ بِالنَّار؟** - هذا منطقُ أعداء علي، هذا منطقُ الأنجاس من أبناء الزواني، لا شأنَ لنا بهم - **فَقَالَ لَهُ** - قالَ الأمير - **مَه** - ما هذا الَّذي تَقولهُ؟! اكفُف عن هذا الكلام - **مَه فَضَّ اللهُ فَاك، وَالَّذِي بَعثَ مُحَمَّداً بِالحقِّ نَبِيّاً** - هذا قَسمُ أمير المؤمنين - **لَو شَفَعَ أَبِي فِي كُلِّ مُذْنبٍ عَلَى وَجه الأَرْض لَشَفَّعَهُ اللهُ فِيهِم، أَبِي يُعَذَّبُ بالنَّارِ وابنهُ قَسِيمُ الجَنَّة والنَّار؟!** - يعني لو أرادَ أبو طالبٍ أن يُوسِّعَ قانونَ الشَّفاعة، فقانونُ الشَّفاعة بحسبِ أحاديث رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله لأهل الكبائر، لكنَّ أبا طالب إذا أرادَ أن يُوسِّعَ هذا القانون وأرادَ أن يشفعَ للجميع من أهل الكبائرِ ومن غيرهم لَشفَّعهُ اللهُ فيهم.

- ثُمَّ قَالَ: والَّذي بَعثَ مُحَمَّداً بالحقِّ نَبياً إِنَّ نُورَ أَبِي طَالبٍ يَومَ القِيَامَة لَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الخَلْق لشدَّته إِلَّا خَمْسَة أَنْوَار؛ نُورُ مُحَمَّدٍ وَنُورِي وَنُورَ فَاطِمَة وَنُورَ الحَسَنِ وَنُورَ الحُسَين وَمَن وَلَدَهُ مِنَ الأَئِمَّة - إنَّها سلسلةُ الأئمَّة الأربعة عشر، هؤلاء هُم الحُجج الأعظم، هذه الروايةُ روايةٌ عجيبةٌ!!

ثُمَّ يقولُ أمير المؤمنين: **لأَنَّ نُورَهُ** - لأنَّ نُور أبي طالبٍ - **من نُورِنَا** - من نور الأئمَّة الأربعة عشر، هذه هي الخصوصيَّةُ في أبي طالب، ومن هُنا كانت العلاقةُ الخاصَّةُ فيما بينَ أبي طالبٍ ومُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله؛ إنَّها النُّوريَّةُ المتفرعةُ من نوريَّةِ مُحَمَّد، أبو طالبٍ حينَ أرضعَ مُحَمَّداً إنَّ مُحَمَّداً أرضعَ نَفسهُ بنفسه، هذا هو إرضاعُ الفيض، فنورُ أبي طالبٍ من نُورِ مُحَمَّد، ونُور مُحَمَّد هو النُّورُ الأعلى - **لأَنَّ نُورَهُ مِن نُورِنَا الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من قَبْل خَلْقِ آدَم بِأَلْفَي عَام** - الكلامُ في جو المداراة والتقريب، الكلامُ بحسبِ المتلقِّي، هذه المضَامينُ أعمقُ ممَّا يظهرُ من ألفاظها، وأعمقُ بكثيرٍ ممَّا أستطيعُ بيانهُ، وأعمقُ بكثيرٍ ممَّا يصلُ إليه فهمي، وأعمقُ بكثيرٍ ممَّا تتصورونهُ من خلال فهمكم لحديثي، أنا وأنتُم على شواطئ الفهم، عميقُ الفهمِ ليس كذلك، القضيَّةُ أعمقُ وأعمقُ وأعمق.

الحديثُ الحادي والعشرونَ من بابِ مولد النَّبي ووفاته صلَّى اللهُ عليه وآله، الجزء الأوَّل من (الكافي الشريف)، الطبعة الَّتي أشرتُ إليها سابقاً، الحديثُ عن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَليه: **نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِؤُكَ السَّلام** - النَّبيّ ليسَ مُحتاجاً لجبرائيل هذه الأحاديثُ تقريبيّةٌ - **يُقْرِؤُكَ السَّلام وَيَقُول: إِنِّي قَدْ حَرَّمتُ النَّارَ عَلَى صُلْبٍ أَنْزَلَك** - إنَّهُ أطهر الطاهرين - **وَبَطْنٍ حَمَلَك** - إنَّها الصدِّيقةُ الطاهرة، أُمُّ مُحَمَّد آمنة - **وَحِجْرٍ كَفَلَك** - هذا حجرُ عبد المطَّلب، وهذا حجرُ أبي طالب، وهذا حجرُ فَاطمةَ بنت أسد، وحليمةُ السعديَّةُ تدخلُ في هذا السياق، هذه الرواياتُ تُبيِّنُ جانباً من الحقيقة لا تتحدَّثُ عن كُلِّ التفاصيل - **فَالصُّلْب صُلْبُ أَبِيكَ عَبد اللهِ بنِ عبد المطَّلب، وَالبَطْنُ الَّذِي حَمَلَك فَآمنَهُ بِنتُ وَهْب، وَأَمَّا حِجْرٌ كَفَّلَك فَحجرُ أَبِي طَالب وَفَاطِمَةَ بِنت أَسَد.**

من البابِ نفسه، الحديثُ الثامنَ عشر: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن دُرُسْت ابنِ أَبِي مَنصُور، سَأَلَ الإِمَامَ الكَاظِم صَلواتُ الله عَلَيه؛ أَكَانَ رَسُولُ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وآله، أَكَانَ رَسُول الله مَحْجُوجاً بِأَبِي طَالب؟** - لماذا سألَ هذا السؤال؟ لأنَّ أبا طالبٍ أصحابُ الأئمَّة يعرفونَ من أنَّهُ آخرُ وصيٍّ من أوصياء إبراهيم، ويعرفونَ أيضاً من أنَّ أوصياءَ إبراهيمَ أنبياء، ويعرفونَ أيضاً من أنَّ عبد الله والدَ النَّبي وأبا طالبٍ والدَ الأمير أطهرُ الطاهرينَ في سلسلة الآباء والأجداد، فلذا هذا الراوي يسألُ الإمامَ الكاظم - **أَكَانَ رَسُولُ الله مَحْجُوجاً بِأَبِي طَالب؟!** - يعني أنَّ أبا طالبٍ لَهُ حجّةٌ على رسول الله؟ - **فَقَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُسْتودَعاً للوصَايَا** - هذا جزء من العلاقة الخاصَّة بينَ أبي طالبٍ ومُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله - **فَدَفَعَهَا إِلَيه، قَالَ، قُلت: فَدَفَع إِلَيه الوَصَايَا عَلَى أَنَّهُ مَحْجُوجٌ بِه؟ فَقَالَ: لَو كَانَ مَحْجُوجاً بِه مَا دَفَعَ إِلَيه الوَصِيَّة** - يعني لو كانَ محمّدٌ محجوجاً بأبي طالب - **قَالَ، فَقُلتُ: فَمَا كَانَ حَالُ أَبِي طَالبٍ؟ قَالَ: أَقَرَّ بِالنَّبي وَبِمَا جَاءَ بِه وَدَفَعَ إِلَيه الوَصَايَا وَمَاتَ مِن يَوْمِه** - هذه الروايةُ أيضاً تُحدِّثنا عن جانبٍ من الحقيقة، وعن شأنٍ من شؤون برنامج الرعاية الخاصَّة لرسول الله والَّذي كانَ على رأسه أبو طالب.

في (الكافي الشريف)، البابِ نفسه، الحديثُ الحادي والثلاثون، أقرأ موطنَ الشاهد منه: **عَن عُبَيدِ بنِ زُرَارَة عَن إِمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيه: لَمَّا تُوفِّي أَبُو طَالبٍ نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى رَسُولَ الله فَقَال: يَا مُحَمَّد أَخْرُج من مَكَّة فَلَيسَ لَكَ فِيهَا نَاصِر** - النَّاصرُ الحقيقيّ في مكّة هو أبو طالب، أعظمُ حدَث في تأريخ الإسلام في مرحلة التَّنزيل أعظمُ حدث الهجرة، حينما هاجرَ رسولُ اللهَ صلَّى اللهُ عليه وآله إلى المدينة تحقَّقَ أعظمُ حدَث في تأريخ الإسلام في مرحلة التَّنزيل، مُقدِّمةُ هذا الحدث وفاةُ أبي طالب، لأنَّ أبا طالبٍ رحلَ عن الدُّنيا لم يبقى للإسلام من سند، أو من أساس، أو من مُعتمد يعتَمدُ عليه الإسلام، ولذا لابُدَّ من بدايةٍ جديدة، لقد انتهت مرحلةٌ برحيل أبي طالبٍ الطاهرِ المطهَّر صلواتُ الله عليه عن هذه الدنيا، انتقالةٌ عظيمةٌ حدثت، هذه الانتقالةُ أمرٌ ضروريٌّ من دونها ليسَ هُناكَ من بقاء للإسلام، حياةُ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله أصبحت في خطرٍ مُداهمٍ ومُباشر، كُلُّ هذا يُعطينا هذا المعنى؛ من أنَّ أبا طالبٍ كانَ حافظاً وحارساً وكانَ هو الَّذي يرعى حياةَ رسول الله، حياةُ رسول الله كانت مُتوقِّفةً على وجود أبي طالب، أتحدَّثُ عن حياته الدنيويّة في مكَّة، وكانَ الإسلامُ موجوداً وباقياً بوجود أبي طالب، ألا لعنةٌ لا أقولُ على الَّذينَ يقولونَ من أنَّ أبا طالبٍ ماتَ على الشرك، هؤلاء حتَّى هذه اللعائن قليلةٌ بحقِّهم، وإنَّما أقولُ: ألا لعنةٌ على الَّذينَ يقولونَ من أنَّ أبا طالبٍ أسلم، متى لم يكن مُسلماً حتَّى أنَّهُ أسلم؟!

في زيارة النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله، في (مفاتيح الجنان)، فماذا نقولُ في وداعِ رسول الله في زيارته الشريفة: **أَشْهَدُ يَا رَسُولَ الله أَنَّكَ كُنْتَ نُوْراً فِي الأَصْلَابِ الشَّامِخَة وَالأَرْحَام الْمُطَهَّرة لَمْ تُنَجِّسكَ الجَاهليَّةُ بِأَنْجَاسِها وَلَم تُلْبِسكَ مِنْ مُدْلَهِمَّات ثِيَابِهَا** - نصٌّ واضحٌ يختصر كُلَّ المطالب الَّتي ذكرتُها لكم.

وهذا نقرؤهُ أيضاً في زيارة وارث الَّتي نزور بها سيِّد الشُّهداء، نُخاطبُ الحسين: **يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبد الله أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوْراً فِي الأَصْلَابِ الشَّامِخَة وَالأَرْحَام الْمُطَهَّرة لَم تُنَجِّسْكَ الجَاهلِيَة بِأَنْجَاسِهَا وَلَم تُلْبِسكَ مِنْ مُدْلَهِمَّات ثِيَابِها** - (حُسينٌ منِّي وَأَنَا من حُسين)، وفي حديث آخر: (أَنَا من حسين وَحُسينٌ منِّي).

في زيارة رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله أيضاً، الحديثُ عن رسول الله: **الَّذي غَمَسْتَهُ** - نُخاطبُ اللهَ ونُحدِّثهُ عن رسول الله - **الَّذي غَمَسْتَهُ فِي بحرِ الفَضيلَة وَالْمَنْزِلَة الجَلِيلَة وَالدَّرَجَة الرَّفِيعَة وَالْمَرْتَبَة الخَطِيرَة** - الخطيرة العظيمة العالية - **وَأَوْدَعْتَهُ الأَصْلَابَ الطَّاهِرَة وَنَقَلتَهُ مِنْهَا إِلَى الأَرْحَامِ الْمُطَهَّرة لُطْفاً مِنْكَ لَهُ وَتَحَنُّناً مِنْكَ عَلَيه** - هذا هو برنامجُ الرعاية الخاصَّة لرسول الله - **إِذْ وَكَّلْتَ لِصَوْنِه وَحِرَاسَتِه وَحِفْظِه وَحِيَاطَتِه مِن قُدْرَتِكَ عَيْناً عَاصِمَة حَجَبتَ بِها عَنهُ مَدَانِس العَهْر وَمَعَائِبَ**

السَفَاح - والحديثُ عن حليمةَ السعديَّة يأتي في هذا السياق لابُدَّ أنَّ حليبها كانَ مَحفوظاً عن مَدانس العِهر - **حَتَّى رَفَعْتَ بِهِ نَوَاظِرَ العِبَاد وَأَحْيَيْتَ بِهِ مَيْتَ البِلَاد بِأَنْ كَشَفَت عَن نُورِ وِلَادَته ظُلَمَ الأَسْتَار وَأَلْبَسْتَ حَرَمَكَ بِه حُلَلَ الأَنْوَار**.

في (كامل الزيارات)، طبعةُ مكتبة صدوق/ طهران/ إيران/ البابُ السادس عشر/ الحديثُ الرابع/ الصفحة الخامسة والخمسين/ حديثٌ طويلٌ عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه في أجواءِ ولادة الحُسَين - **وَلَم يَرْضَع الحُسَيْنُ من فَاطِمَة** - لم يرضع الحُسَينُ من فَاطمَة في مقطعٍ مثلما لم يرضعَ رسولُ الله من أُمِّه آمنة جفَّ الحليبُ في صدرها، هذا جزءٌ من برنامج الرعاية الخاصَّة - **وَلَا من أُنْثَى** - قطعاً في مقطع من المقاطع - **لَكِنَّهُ كَانَ يُؤْتَى بِهِ النَّبِي فَيَضَعُ إِبْهَامَهُ فِي فِيْه فَيَمُصَّ مِنْهَا مَا يَكْفِيه اليَوْمَين وَالثَّلَاثَة، فَنَبَتَ لَحْمُ الحُسَينِ من لَحْمِ رَسُول اللَه وَدَمُهُ من دَمه** - إلى آخر الحديث.

هَذا هو الدَّ مُ الَّذي يتحدَّثُ عنهُ مراجعُ النَّجف وكربلاء الأغبياء، ويقولونَ عنهُ من أنَّهُ دَمٌ نجس، وهذا هو الَّذي يتحدَّثُ عنهُ الوائليّ المشؤوم الغبيّ الأثول حيثُ يقولُ عن دم الحُسينِ بعدَ استشهاده من أنَّهُ دَمٌ نجس، تُلاحظونَ الفارقَ الكبير بينَ ثقافة العترة وبينَ ما عليه حوزةُ النَّجف، مراجعُ النَّجف، خُطباء النَّجف.

في زيارة الحُسينِ في يومِ عرفة، في (مفاتيح الجنان)، نُخاطبُ أبا عبد الله: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ خَاتَم النَّبِيِّين وَابْنَ سَيِّد الوَصِيِّين وَابْنَ إِمَام الـمُتَّقِين وَابْنَ قَائد الغُرِّ الْمُحَجَّلِين إِلَى جِنَّات النَّعِيم وَكَيفَ لَا تَكُونُ كذلك وَأَنْتَ بَابُ الهُدَى وَإِمَامُ التُّقَى وَالعُروةُ الوثْقَى وَالحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَخَامسُ أَصْحَابِ الكسَاء غَذَّتْكَ يَدُ الرَّحْمَة** - يَدُ الرحمَة، هذا اصبعُ مُحَمَّد، ما الفارقُ من أنَّ الإرضاع يكونُ من يَد رسول الله أو أنَّهُ يكونُ من صدرِ أبي طالب ما هو الفارق؟ استهزاء النَّواصب لا شأنَ لنا به، تُلاحظونَ أنَّ القُرآنَ وأنَّ الأحاديثَ وأنَّ الزيارات تَصبُّ في مجرىً واحد، ألا لعنةٌ على حوزة الطوسي، ألا لعنةٌ على حوزة النَّجف - **غَذَّتْكَ يَدُ الرَّحْمَة وَرَضَعتَ مِن ثَدي الإِيمَان**"؛ الحديثُ هُنا عن فَاطمَة - **وَرُبِّيتَ فِي حجرِ الإِسْلَام** - الحديثُ هُنا عن علي.

فالإسلامُ هو الإيمانُ في مرحلة التأويل، الإسلامُ لهُ معنى، والإيمانُ لهُ معنى آخر في مرحلة التَّنزيل.

الإسلامُ تعريفهُ في ثقافة العترة: التسليمُ لِمُحمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، الإسلامُ هو ولايةُ عليٍ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.